زيارة الملك عبدالعزيز آل سعود إلى مصر ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م

التاريخ من خلال النصوص

د. يعقوب يوسف الغنيم
الكويت

المغفور له الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في غير حاجة إلى من ينوه به ويعيد ذكر سيرته، فما كتب عنه في الكتب والصحف كثير، وفوق ذلك فإن سيرته وكفاحه في سبيل توحيد الجزيرة العربية على كل لسان، أما أسلوبه في الحكم واهتمامه في الداخل وعلاقاته مع الخارج فهو مثل يحتذى. لذا فإن ما أُقَدِّمُه الآن ليس القصد منه إعادة الحديث في سيرة هذا الرجل الهمام، ولكنني اطلعت بإشارة من أخي الدكتور عبدالله يوسف الغنيم على قصيدة رائعة نظمها الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل، ونشرتها مجلة الرسالة الشهيرة، وهي تعبير عن مناسبة مهمة، جرت فيها إحدى المهمات التي اضطلع بها الملك عبدالعزيز، حين زار مصر في سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، ملبيا دعوة ملكها فاروق

الأول الذي كان قد زار المملكة العربية السعودية زيارة أخوية، تركت أثرها في نفس كل من الزائر والمزور.

سوف يأتي هنا الحديث المفصل عن هذه الرحلة، وعن نتائجها وما كتب عنها؛ لأنها تشكل حدثاً مهمًا كان له أثر طيب في تقوية أواصر العلاقة بين المملكتين الشقيقتين، ثم يأتي بعد ذلك إثبات للقصيدة كاملة مع بعض الإيضاحات حولها، وسوف يرى القارئ - إن شاء الله - أنها تستحق أن تكون دافعا إلى هذا العمل المتمثل في المقال الذي بين يديه لما تحويه من معان جميلة وألفاظ رائعة، ونفس شعري قوي لا يُستغرب مثله على الشاعر محمود حسن إسماعيل، وإذا لُوحظت هنا بعض الاستطرادات فهي في مجالات لابد منها، فالحدث يستحق منا أن نقف أمامه متأملين، وأن نلم بأطراف الأحاديث التي دارت حوله، وهي وإن كانت مذكورة في عدد من المراجع إلا أن جمعها وتصنيفها معا في موقع واحد سوف تكون له فائدة بإذن الله. أما التوسع في هذا الموضوع المهم فهو مجال مفتوح أمام دارسي التاريخ وكُتّابه، وأمام العاملين في مجال الدراسات السياسية، فهناك موضع لحديث آخر يختلف عما نحن بصدده، إذ إن لكل باب من أبواب المعرفة أهله الذين اختصوا به وبدراسته، وهذا هو سر ابتعادي عن التحليل والتفصيل، فما قدمته هنا لا ينبغي أن يؤخذ في غير ما كتب من أجله.

وأنا في الختام أعتذر عن كل تقصير، وأرجو أن يتهيأ لمثل هذا الموضوع الذي طرقته من ينظر في موضوعات أخرى لها

السمات التي توافرت هنا؛ فيقوم بعمل مشابه يكون عونا للباحثين في المجالات التاريخية والسياسية وغيرها.

مدخل

كانت الحرب العالمية الثانية قد ألقت أوزارها، واتجه الملك عبدالعزيز إلى ملاقاة الرئيس الأمريكي روزفلت في البحيرات المرة بقناة السويس، مصر. وكان لقاؤهما في الساعة العاشرة من صباح اليوم الرابع عشر من شهر فبراير لسنة ١٩٤٥م (٢/٣/١٣٦٤هـ). وهناك تفصيل كثير لهذا اللقاء أورده خير الدين الزركلي في كتابه "شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز"(١)، والمهم لدينا أن نشير إلى أنه بعد انتهاء الحرب بدأت في المملكة العربية السعودية مرحلة أخرى من البناء الداخلي وإقامة العلاقات مع الدول، وهكذا وجدنا أثر ذلك في الزيارتين المتبادلتين بين الملكين عبدالعزيز وفاروق، ولعل من المهم أن نذكر هنا أن الملك عبدالعزيز لم يخرج إلى زيارة بلد فيما عدا بلدان الجزيرة العربية منذ تولى الحكم إلا مصر التي زارها مرتين: أولاهما للاجتماع بالرئيس الأمريكي، والثانية الزيارة التي هي موضوع حديثنا، وهي كما أسلفنا ردّ على زيارة الملك المصري فاروق للمملكة.

ومن ضمن الأحداث التي كانت تدور في المملكة خلال سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ) (سنة الرحلة إلى مصر) زيارة اللجنة البريطانية الأمريكية الخاصة ببحث قضية فلسطين، وهي القضية التي كانت شغل الملك الشاغل، وقد لقي هذه اللجنة

(١) نشر دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م.

بقصره في الرياض في اليوم التاسع من شهر مارس لسنة ١٩٤٦م (١٣٦٥/٤/٦هـ). وكان مما قاله للجنة[٢]: "وإني لعلى يقين أولا من أن اليهود الصهيونيين لا يدخرون وسعاً في إحداث الاختلافات بين العرب وصديقتيهم بريطانيا وأميركا. وهذا يتجنبه العرب ولا يريدونه. وثانيا: أن هجرة اليهود إذا استمرت على ما هي عليه، وتوسعت أملاكهم في فلسطين؛ فسيكونون خطراً على العرب كافة؛ لأن لديهم جميع الوسائل لإمدادهم بالأسلحة والنقود وغيرها. وسيستعملون هذا ضد العرب. وفيه، في الوقت نفسه، إشكال على البريطانيين. والدليل على هذا ما رأته اللجنة عند زيارتها لفلسطين. هل رأت اللجنة حال العرب وحال اليهود؟ هل رأت اليهود في ترفهم ومساكنهم وسلاحهم وأموالهم وقوتهم. ورأت العرب أصحاب البلاد الشرعيين، وما هم عليه من الفقر والعوز؟ ألم يصرح اليهود للجنة بأنهم أصحاب زراعات وأملاك؟ وأنهم يعملون ويصلحون على نقيض ما يفعله هؤلاء الأشقياء؛ ويعنون بذلك العرب؟ إذا أرادت اللجنة أن تسأل عن أسباب ذلك فإني أخبرها بالأسباب التي أوصلت الفريقين إلى ما هم فيه".

وإثر صدور توصيات اللجنة التي لم تكن في صالح العرب قام الملك عبدالعزيز بإجراء اتصالات عالية المستوى يعترض فيها على ذلك، منها مراسلاته مع الرئيس الأمريكي هاري ترومان التي عبر فيها عن الموقف العربي أصدق تعبير، وقد

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٥٢.

سبقته أخبار منها إلى مصر قبل الذهاب إليها في زيارته الثانية سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ)، وتركت في نفوس أبنائها آثاراً، منها التقدير للمواقف التي وقفها في سبيل أمته إضافة إلى ما له من تقدير بصفته موحداً للمملكة العربية السعودية تحت راية واحدة، وقد بدا جليا ما في النفوس حين كان المصريون العاديون يهتفون لموكبه حين يمر في شوارع القاهرة ضمن برنامج الزيارة، ويدعون له بطول العمر، آملين أن يواصل هذه المسيرة المباركة، فكانت جهوده بارقة أمل في ظل الظروف المأساوية التي كان يشعر بها جميع العرب بعد أن تطورت قضية فلسطين إلى الأسوأ، وسارت في طريق مظلم يحتاج إلى مواقف بطولية، ومنافحة عن الحق العربي بكل الوسائل.

كانت جهوده بارقة أمل في ظل الظروف المأساوية التي كان يشعر بها جميع العرب

كان الجو العام في مصر مجالا لعمل الملك فاروق المنفرد، وكان ممسكا بزمام الأمور في وطنه متفرداً دون حكومته بكثير من القرارات، وكان منشغلا بأمور كثيرة داخلية وخارجية، وفي سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ) كانت له سياسة عربية متعددة الجوانب، ومن ذلك أن يسعى مُستَغلا الاحتفال بالذكرى الأولى لتأسيس جامعة الدول العربية، فيحضر الاحتفال على غير توقع، ويلتقي بممثلي الدول سائلا عن أحوالهم بلداً بعد بلد، ثم نجده من جانب آخر يهتم بنتائج تقرير لجنة التحقيق الأنجلو ـ أمريكية الذي صدر في أواخر شهر أبريل لسنة ١٩٤٦م (جمادى الأولى ١٣٦٥هـ)، وهو تقرير جاء

لغير مصلحة العرب، ومن هنا قام الملك المصري بإرسال رسائل إلى عدد من رؤساء الدول العربية حول هذه القضية، مضيفا إليها المسألة الليبية، ونجده أيضا - وقد وجد عدم جدوى الرسائل - يقوم بدعوة الرؤساء العرب إلى مؤتمر عقده في منطقة إنشاص، وكانت أولى جلساته في اليوم الثامن والعشرين من شهر مايو لسنة ١٩٤٦م (٢٧/ ٦/ ١٣٦٥هـ)، وألقى فيه فاروق كلمة الافتتاح، ثم نراه في السنوات الثلاث اللاحقة يتابع عدداً من المهام ذات العلاقة بالمصالح العربية.

ولذا فإننا نستطيع أن نقول: إن زيارته لجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ولقاءهما عند سفح جبل رضوى، وزيارة الملك عبدالعزيز له في مصر رداً على الزيارة الأولى إنما هو استمرار لمسيرة حرص الملك المصري على اتباعها، ووجد عند الملك السعودي رغبة صادقة في العمل العربي، فالتقت رغبة كلا الرجلين. وهو ما عبرت عنه الرسائل المتبادلة بينهما إثر كل من الزيارتين.

الملكان

تشير قصيدة الشاعر محمود حسن إسماعيل التي سننشر نصها في نهاية البحث إلى زيارتين متبادلتين بين عاهلي المملكة العربية السعودية، والمملكة المصرية، وسوف يأتي تفصيل ما جرى في هاتين الزيارتين فيما بعد، ولكننا هنا نسوق نبذة يسيرة عن الملكين اللذين تبادلا تلكما الزيارتين:

أولا: جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - الرجل الغني عن التعريف، فهو مؤسس المملكة

العربية السعودية وجامع شمل جزيرة العرب، له في ضمير أبناء الأمة العربية تقدير لا يضاهى، وله في التاريخ سجل يُخلِّدُ أفعاله الطيبة التي قدمها لوطنه ولأمته.

كانت المملكة العربية السعودية وما تزال محط أنظار العرب، يفد إليها المسؤولون من مختلف الأقطار العربية كلما اكفهر الجو السياسي، فيجدون فيها الحكمة، ويحصلون منها على الدعم والمساندة، وهذا هو موقفها من القضايا العربية كافة، فمنذ أسسها مؤسسها وهي تسير على الطريق الذي اختطه، وما هذه الرحلة التي نتحدث عنها هنا إلا نموذج لما سار عليه الملك عبدالعزيز آل سعود؛ ولذا أخذت من الاهتمام الشيء الكبير، وسوف نرى أثر ذلك في الكتابات الكثيرة التي سُطِّرت حولها من جوانب عدة؛ تاريخية وتحليلية واستنتاجية، منها ما جاء في كتب مؤلفة، ومنها ما جاء في صحف سيَّارة. وكلها تدل على أهمية التحرك الملكي السعودي في ذلك الوقت الذي كانت النذر فيه تحيط بالأمة العربية، وخاصة بفلسطين حين كانت الصهيونية تنسج خيوط المؤامرة وقتها من أجل إنشاء الوطن اليهودي، الذي أنشأته فيما بعد على الأرض العربية المسلمة.

كانت الأحداث خطيرة، وكانت المهمة التي بادر إليها الملك عبدالعزيز كبيرة وحاسمة.

ثانيا: الملك فاروق الأول بن أحمد فؤاد الأول بن إسماعيل باشا بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، أبوه الملك وجده الخديوي، وجده الأعلى محمد علي باشا مؤسس الدولة العلوية في مصر.

اعتلى الملك فاروق عرش مصر في سنة ١٩٣٦م (١٣٥٥هـ)، وأرغم على التنازل عن الحكم في سنة ١٩٥٢م (١٣٧١هـ) لولده الأمير أحمد فؤاد الثاني الذي كان طفلا وقتذاك، وبعد فترة يسيرة غُيِّر نظام الحكم في مصر إلى النظام الجمهوري، وخُلع الابن هو الآخر. وتوفي الأب في روما سنة ١٩٦٥م (١٣٨٥هـ). قيل عنه وعن فترة حكمه حال حياته شيء، وقيل بعد خلعه ووفاته شيء آخر. ولكن العلم عند الله، وفي وصيته بأن يُدفن في المدينة المنورة بعد وفاته دلالة على تمسكه بدينه على الرغم من كل ما قيل.

كانت زيارة الملك عبدالعزيز آل سعود لمصر في سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ) معقبة لحدثين مهمين على المستوى العربي وعلى المستوى الثنائي السعودي المصري. فقد كانت في أعقاب زيارة الملك فاروق الأول للمملكة العربية السعودية، واجتماعه برضوى مع الملك عبدالعزيز.

وكان اجتماع رضوى الذي أشرنا إليه أثناء حديثنا فيما سبق، هو اجتماع تم بين الملك عبدالعزيز، والملك فاروق على سفح جبل رضوى الواقع في محافظة ينبع بمنطقة المدينة المنورة، وكان ذلك في اليوم العاشر من شهر صفر لسنة ١٣٦٤هـ الموافق لليوم الرابع والعشرين من شهر يناير لسنة ١٩٤٥م. وقد كان اجتماعا أخويا احتفى الملك عبدالعزيز خلاله بضيفه احتفاء كبيراً، وكان فرصة مهمة لتقوية أواصر المحبة والأخوة لا بين العاهلين فحسب، بل بين البلدين والشعبين. وقد أقيمت المآدب وحفلات العرضة التي شارك

فيها الحاضرون من أمراء وغيرهم، وارتدى الملك فاروق الزي السعودي في إحدى المآدب تقديراً لمضيفه.

ولعل من أهم الدلائل على نجاح هذا الاجتماع وسعادة الملك عبدالعزيز بما تم خلاله من تبادل الثقة وتقوية الأواصر الأخوية تلك البرقية التي بعث بها إلى الملك فاروق معبراً له عن تلك المشاعر قائلا فيها(٣): "في اللحظة التي بلغ مسامعي نبأ وصول جلالة الأخ الكريم إلى عاصمة بلاده الشقيقة الكريمة بالصحة والسلامة، أبعث لأخي العزيز بتهنئتي القلبية بسلامة الوصول، منوِّها بالأثر العظيم الذي تركه في نفسي وفي نفس شعبي تفضلكم العظيم بهذه الزيارة الكريمة، وإن ما لاقيته من حسن شمائل الأخ، وما شعرت به من السرور لما تأيد بيننا في هذا الاجتماع المبارك من التآخي والمودَّة، يزيد غبطتي وسروري بذلك التلاقي الذي كان من حوادث التاريخ المهمة في تأييد العلاقات بين بلدينا وبيتينا، بل كان دعامة في تأييد أواصر المودة الإسلامية".

وللأثر الكبير لهذه الزيارة في نفس الملك فاروق فقد صار يعد حضوره إلى المملكة العربية السعودية لا يحتاج إلى مقدمات ولا ترتيبات، فهو يأتي إلى بيت أخ له وجد فيه كل الصفات الكريمة التي يمكن أن تجتمع في إنسان. ولذلك فإن ملك مصر عندما كان في رحلة بحرية يجوب بها البحر الأحمر على متن يخته الشهير المسمى بـ (المحروسة) وجد

(٣) عبدالحميد الخطيب، الإمام العادل، ص ٤٣٧.

نفسه يتجه إلى ميناء جدة، حيث وصل في صباح يوم الخميس الموافق لليوم العشرين من شهر ديسمبر لسنة ١٩٤٥م (١٦ المحرم ١٣٦٥هـ)، وكان قدومه مفاجئا للحكومة السعودية، ولم يكن الملك عبدالعزيز موجودا حيث وصل الملك الضيف، فقام بالمهمة ممثله وزير الدفاع الأمير منصور بن عبدالعزيز، وأرسل الملك عبدالعزيز برقية ترحيب بهذه الزيارة التي أصَّلت المودة بين العاهلين، وكان لها أثرها في الحدث الذي سوف نتناوله فيما بعد، وهو الخاص بزيارة ملك المملكة العربية السعودية لمصر[٤].

أما الحدث الثاني فهو قيام جامعة الدول العربية في اليوم الثاني والعشرين من شهر مارس لسنة ١٩٤٥م (٨ ربيع الثاني ١٣٦٤هـ)[٥]، إذ عقد في القاهرة بقصر الزعفران اجتماع ضم مندوبين عن الدول العربية، وتوصل هذا الجمع إلى صياغة ميثاق الجامعة، وُصدِّقَ عليه فيما بعد، وأبرم من قبل رؤساء الدول العربية ومنهم الملك عبدالعزيز.

فكانت الزيارة الملكية السعودية، تأكيداً لما احتوى عليه الميثاق من ضرورة التواصل بين مختلف البلدان العربية، ولا سيما بين رؤسائها، وتقوية للجامعة العربية وهي تسير في أولى خطواتها. ومن هنا تكتسب الزيارة المرتقبة أهميتها، ومن هنا تحصل دوافعها.

(٤) عبد الحميد الخطيب، الإمام العادل، ص ٤٥٢ - ٤٥٣، ١٩٩٩م، بتعليق د. فهد بن عبدالله السماري.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٤٣.

لقد حظيت هذه الزيارة باهتمام كبير على المستوى السياسي لا في مصر وحدها فحسب، بل في البلدان العربية على الأخص والبلدان الأوروبية ذات العلاقات مع الدول العربية كذلك. وكان لها اهتمام كبير على المستوى الإعلامي، ولا سيما الجانب الصحفي منه، إذ كانت الصحافة هي أبرز وسائل الإعلام في ذلك الوقت.

وكان اهتمامها دليلا على ما تعلقه الأمة العربية والإسلامية على هذا التواصل بين بلدين شقيقين، وكانت صحف القاهرة ومجلاتها أكثر اهتماما بهذه المناسبة المهمة، وقد حفظت الأحداث حفظاً جيداً، فكانت كتاباتها سجلا تاريخيا قوي الدلالة.

ثلاثة رجال في صميم الحدث

مرت بنا خلال هذا العمل أسماء مهمة في دنيا الأدب، هم: أحمد حسن الزيات، وعباس محمود العقاد، ومحمود حسن إسماعيل، وكلٌّ منهم علم في مجاله.

أما أحمد حسن الزيات (١٨٨٥-١٩٦٨م) فقد كان كاتبا صحافيا من الطراز الأول مصري الجنسية، مولود في قرية من قرى محافظة الدقهلية. وقد درس في الكتَّاب كغيره من أطفال زمنه ثم دخل الأزهر. وبعد عشر سنوات فيه ظهر ميله للأدب، وكان من حسن حظه وجود ثلاثة علماء عدوا من علماء العصر آنذاك، هم الشيخ محمد محمود الشنقيطي، والشيخ محمد عبده، والشيخ سيد المرصفي، وقد احتضنه هؤلاء وشجعوه، إضافة إلى أنه تتلمذ على يد بعض

كبار المستشرقين. شُغل بعد ذلك بالتدريس، ولكنه واصل دراسته، فتخرج دارساً للغة الفرنسية بدرجة جامعية هيأت له فرصة العمل رئيسا لقسم اللغة العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة لمدة سبع سنوات، انتهت في سنة ١٩٢٩م (١٣٤٨هـ). وكان عضوا في مجمع اللغة العربية بمصر، والمجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع العلمي العراقي ببغداد، وكان عضوا في لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، وهذه اللجنة من أهم ما زود المكتبة العربية بالكتب القيمة، بفضل العلماء من أعضائها.

أسس أحمد حسن الزيات مجلة "الرسالة" في سنة ١٩٣٢م (١٣٥١هـ)، وهي مجلة ثقافية ذاع صيتها، وأقبل عليها القراء، وكان من كتابها عدد كبير من أدباء مصر والأقطار العربية الأخرى يضيق المجال عن ذكر أسمائهم جميعا، ويكفي أن نذكر منهم مصطفى صادق الرافعي، ومحمود محمد شاكر، وأحمد أمين، وطه حسين، وعلي الطنطاوي، وقد استمر صدور المجلة لمدة عشرين سنة.

للزيات عدد من المؤلفات منها "من تاريخ الأدب العربي" و"في أصول الأدب" و"دفاع عن البلاغة" وكتب أخرى في النقد مع ترجمات من الأدب الفرنسي(٦).

وأما عباس محمود العقاد فهو أشهر من أن يُعرّف، إذ هو من أئمة الأدب، وأعمدة الثقافة، وما تزال آثاره مقروءة، يقبل عليها الكثيرون، ولد في سنة ١٨٨٩م، وتوفي في سنة

(٦) الموسوعة العربية العالمية، المجلد ١١ ص ٦٧٥.

١٩٦٤م، وكان من كتاب مجلة الرسالة البارزين. لم يكن قد تلقى تعليما عاليا عندما بدأ حياته العملية، ولكنه علَّم نفسه بالإقبال الشديد على القراءة ومجالسة العلماء، ولم يكتف بذلك، بل تعلم عدداً من اللغات أجادها قراءة وكتابة. وقد بدأ عمله موظفا صغيراً في السكة الحديدية، ثم في وزارة الأوقاف، ثم في التدريس بإحدى المدارس الابتدائية، انقطع بعدها عن العمل؛ ليتفرغ للكتابة التي أقبل عليها إقبالا منقطع النظير، شجعه على ذلك رغبة قوية واطلاع واسع، وترحيب كبير من القراء. كتب في الصحف، وأصدر الكتب، وظل لامعا في مجاله طوال خمسين سنة ألَّفَ خلالها ثلاثة وثمانين كتابا، أبرزها العبقريات. كما أنه شاعر له ديوان طبعه تحت عنوان "ديوان العقاد" ومجموعة شعرية أطلق عليها اسم "بعد الأعاصير"، وكان عضوا في مجامع اللغة العربية الثلاثة التي كان أحمد حسن الزيات عضوا فيها، ودافع عن اللغة العربية دفاعا سحق به المتربصين بها(٧).

وثالث هؤلاء محمود حسن إسماعيل الشاعر الشهير الذي عرفت أشعاره في الوطن العربي كله، وشارك في كثير من المهرجانات الشعرية في عدد من البلدان، إضافة الى أنه أنتج عدداً من دواوين الشعر، منها "أين المفر؟"، و"نار وأصفاد"، و"قاب قوسين" و"أغاني الكوخ" وغيرها. ثم بعد وفاته صدرت أشعاره في مجموعة شاملة عن دار سعاد الصباح بالكويت.

(٧) الأعلام، خير الدين الزركلي، مجلد٣ ص ٢٦٦.

ولد محمود حسن إسماعيل في أوائل القرن العشرين الميلادي، في أسرة فقيرة كانت تعاني من ويلات العوز وقسوة المعيشة، ودرس في القاهرة بكلية دار العلوم التي تخرج فيها في سنة ١٩٣٧م (١٣٥٦هـ)، وقد برز في مجال الشعر من خلال الأنشطة الأدبية التي كانت تقام في كليته، فنظم قصائده المعروفة الأولى في أثناء دراسته، وتفتحت شاعريته أكثر بعد تخرجه، ونشر الكثير من قصائده في صحف تلك الأيام، ولا سيما "مجلة الرسالة"، إلى أن بدأ في إصدار دواوينه، فاكتسب شهرة كبيرة وتقديراً لدى القراء والنقاد، وقد كتبت عنه أبحاث ومقالات كثيرة، كما صدرت كتب عدة تتحدث عنه وعن عالمه الشعري وأساليبه في كتابة الشعر. ومن تلك الكتب: "التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل" لمصطفى السعدني، و"محمود حسن إسماعيل: مدخل إلى عالمه الشعري" لعبدالعزيز الدسوقي، و"شعر محمود حسن إسماعيل: محاولات للتذوق الفني" لأنس داود، وأخيراً كتاب "محمود حسن إسماعيل: نثرياته، غنائياته، وأشعاره المجهولة"، من إعداد ابنته سلوان وعزت سعد الدين.

هذا وقد اشتهر هذا الشاعر في خارج مصر عندما تُرجم ديوانه "أغاني الكوخ" إلى اللغة الروسية، وعندما قدم قصيدته "السلام الذي أعرف" في مهرجان الشعر العالمي الذي تمت إقامته في مدينة "ستروجا" اليوغوسلافية، وكان ممثلا للشعراء العرب، وقد ترجمت إلى لغات عدة. وعلى الرغم من أن قصيدته هذه طويلة وملحمية فقد استمع الحاضرون في المهرجان المذكور إليه وهو يلقيها بكل اهتمام

وتقدير للمستوى الفني الراقي الذي قدمه الشاعر العربي المبدع من خلالها(٨).

وقد كتب الشاعر محمود حسن إسماعيل ملحمة رائعة تليق بمناسبة الزيارة وبالزائر الكبير، نشرها في مجلة الرسالة تحت عنوان "عاهل الجزيرة في وادي النيل" مطلعها:

حادٍ من البيد هَزَّتني قوافلهُ والنيلُ يُصغي إليه أو يُساجلُه
يُلقي الغناءَ حجازيّاً فتحسبُهُ تَهَجُّدَ الفجر أوَّابٌ يواصلُه

وفيها مضى الشاعر يعبر عن خلجات نفسه في ستين بيتا من أجمل ما كتب من شعر.

وسوف نفرد مجالا آخر من بحثنا هذا (في الملحق) لهذه القصيدة حتى يطلع عليها من أراد، ففيها من العبارات ما يترجم المشاعر التي عمرت بها نفوس المصريين، وهم يرون الملك عبدالعزيز بين ظهرانيهم.

هؤلاء الرجال الثلاثة يجمعهم في عملنا هذا أمر واحد يربط بينهم، بحيث نجدهم جديرين بأن تقدم صورة ميسرة عن حياتهم، فكلهم كتب لاحقا في "مجلة الرسالة" ضمن العدد الذي أشرنا إليه عن رحلة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود إلى مصر في سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ)، وقد كتب كل منهم من زاويته، وظهر من اهتمامهم ومشاركتهم في الاحتفاء بالضيف الكبير مدى أهمية الزيارة التي كانت من أهم الزيارات المتبادلة بين ملوك العرب في ذلك الوقت، وكان لها

(٨) تكملة معجم المؤلفين، محمد خير رمضان يوسف، ص ٥٧٠.

من النتائج المهمة ما كشفت عنه الأيام اللاحقة لها، ويكفي أنها كانت البداية للتواصل من أجل دعم جامعة الدول العربية الحديثة الإنشاء آنذاك، والتي يشهد التاريخ بطول باع الملك السعودي في التوصل إلى إنشائها بعد أن وجد التجاوب من مضيفه ومن بقية رؤساء الدول العربية المستقلة آنذاك.

بدايات الرحلة

تقديراً من الملك عبدالعزيز آل سعود لزيارة الملك المصري فاروق، وتعبيراً عن شعوره بالروابط الأخوية التي تربط المملكة العربية السعودية بمصر، فقد أعرب في أوائل شهر المحرم لسنة ١٣٦٥هـ (الموافق لشهر يناير من سنة ١٩٤٦م) عن رغبته في زيارة المملكة المصرية رداً على زيارة ملك مصر له. وسارع الملك فاروق فور علمه بهذه الرغبة إلى إرسال دعوة رسمية إلى العاهل السعودي، ولم يكتف بذلك، فأرسل اليخت (المحروسة) لنقل ضيفه إلى مصر، وأرسل وفداً كبيراً تتكون منه بعثة الشرف التي ترافق الملك عبدالعزيز من بلاده إلى مقر الزيارة.

كانت بعثة الشرف هذه تتكون من عدد من رجال الحكم، ورجال القصر الملكي المصري وبعض الدبلوماسيين. وكانت مع هذه البعثة بعثة أخرى تمثل الصحافة المصرية، على رأسها الكاتب الشهير عباس محمود العقاد، وكان وقتها عضوا بمجلس الشيوخ. كما كان يحرس اليخت الملكي زورقان هما: (الأميرة فايزة) و(الأمير فاروق).

وصلت البعثة في صباح يوم السبت الثاني من شهر صفر لسنة ١٣٦٥هـ (الموافق لليوم الخامس من شهر يناير لسنة ١٩٤٦م)، ويلحظ أنه لا يوجد فارق زمني كبير بين إبداء الرغبة وتحقيقها؛ ولذلك دلالته المهمة.

تم استقبال البعثة استقبالا كريما من أهالي جدة والمسؤولين السعوديين فيها. وفي اليوم الرابع من شهر صفر بدأ التحرك الملكي، فغادر الملك عبدالعزيز ميناء جدة على اليخت المحروسة متجها إلى مصر، وقد رافقه في هذه الزيارة أخوه الأمير عبدالله بن عبدالرحمن واثنا عشر أميراً من أبنائه، وعدد من رجال الحاشية وكبار موظفي البلاط الملكي، وسوف يأتي تفصيل لذلك فيما بعد(٩).

وما دمنا نتحدث هنا عن بعثة الشرف المصرية فإنه يجدر بنا أن نشير إلى ما كتبه أحد أفرادها، وهو الأستاذ العقاد عنها، فلم يكن الأديب الكبير عباس محمود العقاد مجرد عضو في بعثة الشرف، فهو بما يملك من قدرة فنية، وقلم سيال وفطنة تصل به إلى ما لا يصل إليه غيره، كتب مقالين في مجلة "الرسالة": أولهما تحت عنوان "في الحرم"، تحدث فيه عن الاستعداد للعمرة وعن الإحرام لها، وعن جبال مكة، ومنها جبل حراء الذي وصفه وصفا دقيقا، وتعليقا منه على وعورة هذا الجبل يقول: "وحسبك نظرة واحدة إلى الجبل ومرتقاه لتحيط بعض الإحاطة بتلك النوازع المرهوبة التي

(9) Anita L P Burdett, editor: vol 4.08 Official Visit to Egypt in 1946: King Abdul Aziz Diplomacy and Statecraft, P. 1002 - 1953, vol 4, 1944 - 1953, Archive Editions, London, 1998. p 196.

كانت تنهض بالرسول ﷺ في صباه إلى ذروة تلك القمة مرات بعد مرات، وأياما بعد أيام"، وتحدث في البيت الحرام عن موضع الدعاء الذي قيل له: إن رسول الله ﷺ كان يقف عنده ليدعو ربه. كما تحدث عن حمام الحرم حديثا طويلا، اتبعه بالمقال الثاني الذي جاء تحت عنوان "حمام الحرم"(١٠).

الوصول

رسا اليخت الملكي (المحروسة) وعلى متنه الملك عبدالعزيز ومرافقوه في ميناء بور توفيق في يوم الخميس المصادف لليوم السابع من شهر صفر لسنة ١٣٦٥هـ (اليوم العاشر من شهر يناير لسنة ١٩٤٦م)، وقد استقبله الملك فاروق يرافقه رئيس ديوانه وكبير الياوران، حيث صعد إلى اليخت ليرحب بالملك الزائر، ويعانقه عناقا حاراً دالا على المودة التي تجمع بينهما.

واستقبلت الضيف الكبير أصوات مدافع الترحيب وحشود متراصة من أبناء الشعب المصري الذين هبوا إلى تحية ضيفهم وضيف مليكهم بهتاف لم ينقطع طوال رحلة القطار التي أقلت الملكين إلى القاهرة.

في اليوم نفسه وصل القطار إلى محطته الأخيرة، ودوت المدافع في القاهرة كما حدث في بور توفيق، وهتف الناس وأبدوا سرورهم بهذه المناسبة السعيدة. كما عُزفت الموسيقى الملكية وموسيقى الجيش المصري في الوقت الذي استعرض فيه الملك عبدالعزيز حرس الشرف ثم حيا المستقبلين، ثم

(١٠) مجلة الرسالة العدد ٦٥٥ والعدد ٦٥٩.

اتجه العاهلان إلى قصر عابدين ممتطين عربة تشريفة ملكية تجرها ست جياد، وبعد استراحة قصيرة، قام الملك فاروق بمصاحبة ضيفه إلى قصر الزعفران الذي تم إعداده ليكون مقراً للضيافة الملكية.

استمرت الزيارة سبعة أيام أمضاها الملك عبدالعزيز وسط الحفاوة البالغة التي وجدها من الملك فاروق ومن جميع المسؤولين وجميع أفراد الشعب المصري، وقد عبر الجميع عن محبة صادقة وتقدير عظيم لضيفهم العظيم.

ومن بور توفيق انطلقت "المحروسة" ثانية لكي يعود بها الملك إلى بلاده مودعا بكل الحفاوة تاركا أطيب الأثر في نفوس أبناء مصر، وعلى رأسهم الملك فاروق، الذي وجه كلمة إلى الشعب المصري بمناسبة انتهاء الزيارة، قال فيها(١١):

"شعبي الكريم، في الوقت الذي يغادر فيه أخي صاحب الجلالة الملك المعظم عبدالعزيز آل سعود مملكتكم عائدا في رعاية الله إلى مملكته، يطيب لي أن أوجه شكري لكم، فقد أكرمتموني في ضيفي بل ضيفكم، استقبلتموه بقلوبكم، وأحطتموه بحبكم، وإني لأرجو أن تكون زيارة أخي الملك عبدالعزيز آل سعود هي الفجر الصادق لليوم الذي تتطلع إليه البلاد العربية يوم تحقيق أهداف العروبة في المجد والاستقلال، والمساهمة الفعالة في بناء حضارة إنسانية أساسها السلام والعدل والحرية لتجَدِّدَ حضارة العرب. شعبي الكريم، لقد زرت المملكة العربية السعودية في العام

(١١) الإمام العادل، مرجع سابق، ص ٤٥٦.

الماضي، وكنت أظن أن سروري بتلك الزيارة لن يعادله سرور، فقد أحسست هناك أني ما اغتربت عن وطني ولا فارقت شعبي، ولكن ما لمسته خلال زيارة أخي الملك عبدالعزيز آل سعود بمصر أكد لي أن أيام المجد تتشابه، فإن جلالته كان هنا بين وطنه وأهله، فاعتززتم باعتزاز دول العرب جميعا شعوبا وملوكا وأمراء ورؤساء، لقد عاش في جونا وعشنا في جوه، ما فارق مملكته، إذ قدم إلينا وما فَارقَنا، إذ يعود إلى مملكته، فإننا على القرب والبعد تربطنا دائما جامعة العرب.

شعبي المحبوب، ليس أطيب عندي من أن أكرر شكري لكم، فقد أكرمتم في شخص الملك عبدالعزيز شخصي، أكرمتم مصر والعروبة والإسلام".

سارت "المحروسة" في طريقها المرسوم وعلى متنها الملك وصحبه، وبعثة الشرف المصرية المرافقة حتى إذا جاء يوم الجمعة الثاني والعشرون من شهر صفر لسنة ١٣٦٥هـ (الموافق للخامس والعشرين من شهر يناير لسنة ١٩٤٦م) رست في ميناء جدة، حيث استُقبل العاهل السعودي بالتهليل والهتاف وفرح الأهالي بعودة مليكهم بعد أن زار مصر، وأكد العلاقات الأخوية القائمة بين البلدين الشقيقين. وقد دامت الاحتفالات بمناسبة هذه العودة مدة ثلاثة أيام احتفاء بالملك وفرحة بوصوله سالما.

وفي هذا الوقت تبادل الملكان برقيتين عبرا فيهما عن سعادتهما باللقاء، وذلك كما يأتي:

أولا: برقية الملك عبدالعزيز آل سعود(١٢)

"حضرة صاحب الجلالة الأخ العظيم الملك فاروق الأول ملك مصر حفظه الله.

الآن والمحروسة تتجه بنا شطر البيت الحرام ومعالم مصر الشامخة الفتانة، تحتجب عن أبصارنا بأنوارها وازدهارها، تلفت القلب بعد العين، وقد انطبعت فيه ذكريات أيام من أسعد الأيام، تجلى بها كرم جلالتكم وإكرامكم بأسمى معانيهما، وقامت في خلالها حكومتكم العاملة الساهرة بأوفى نصيب من حفاوتها، وأعرب شعبكم الناهض النبيل عن أبلغ ما يكنه من العواطف نحو أضيافكم وأضيافه. لقد تجلت مصر الكريمة المضيافة، عظيمة بمليكها وقادتها وشعبها، عزيزة بنهضتها، قوية بجيشها، وما جيش مصر إلا جيش العرب. تقدمتم يا جلالة الأخ بالفضل فكانت أيام رضوى ثم أيام القاهرة والإسكندرية، وما كنتم ونحن نقلب الرأي في شؤون العرب جميعا لتنسوا البلاد العربية السعودية وصلاتها بأختها العزيزة مصر، وما كنا لننسى مصر الكريمة وصلاتها بشقيقتها المملكة العربية السعودية، فكان من حظ البلدين توثيق الروابط بينهما، وتوحيد جهودهما في سياستهما، وإقامة التعاون بينهما على أثبت الدعائم، وإنه لمن سعد الطالع لنا جميعا أن الشعور العربي المشترك بيننا هو شعور عام اشتركنا فيه مع إخواننا وإخوانكم ملوك العرب وأمرائهم ورؤسائهم، كما اشترك معنا

(١٢) المرجع السابق، ص ٤٥٨.

في شعورنا كل مسلم وكل عربي، وما جامعة الدول العربية التي أُسِّسَت دعائمها في عاصمة ملككم، بفضل الله ثم بفضل جهود جلالتكم، وجهود إخواننا ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم، إلا أثر لهذه الروح العالية التي تربط بيننا، وتؤلف بين قلوبنا جميعا. كلانا والحمد لله موقن بأن القوة في وحدة الكلمة، وأن الأخ درع لأخيه وأن تآخينا من شأنه أن يوثق عرى التآخي بين شعبينا، وما شك أحدنا في أن مصلحة البلدين تقضي بوحدة اتجاههما السياسي، ووحدة السبيل الذي يسلكانه في منهاجهما الدولي، ذلك مبدؤنا ومبدأ شعبينا يتوارثه الأبناء عن الآباء، ويبقى إن شاء الله على وجه الدهر بهذه الروح، ودعت مصر شاكرا لها ما يضؤل بجانبه الشكر، راجيا لجلالتكم دوام الهناء والصفاء ولشعبكم دوام الرخاء والارتقاء".

كلانا والحمد لله موقن بأن القوة في وحدة الكلمة، وأن الأخ درع لأخيه

عبدالعزيز

ثانيا: برقية الملك فاروق رداً على البرقية السالفة(١٣)

"تلقيت ببالغ الامتنان وعميق التأثر برقية أخي التي فاض بعبارتها الكريمة قلبه الكبير، وأملتها نفسه العامرة بالوفاء والمحبة، وإن زيارته التي أتاح بها لي ولمصر فرصة الترحيب به، والتعبير له عما نكنه له من إعزاز وإكبار لحدث جليل سيبقى في الذاكرة ما بقي الغرس الطيب المبارك الذي غرسته هذه الزيارة في صلات مصر وشقيقتها العربية

(١٣) المرجع السابق، ص ٤٥٩.

السعودية، وإن إشارة أخي إلى أيام رضوى مع أيام القاهرة والإسكندرية لتوقظ في قلبي الحنين إلى بلادكم العزيزة التي لمست في قلوب أهلها مكانة مصر، والتي أرجو أن تكونوا قد لمستم مكانتها ومكانة عاهلها في قلوب المصريين شعبا وملكا.

إن الصلات التي تربط بين قلبينا وشعبينا قد وثقها الله، وأيدها التعاون في سبيل تحقيق مجد العروبة، ولقد كان لجلالتكم ولملوك العرب وأمرائهم ورؤسائهم وشعوبهم الفضل فيما وصلت إليه جامعة الدول العربية من مكانة عظيمة؛ وإني لأرجو أن يديم الله على العرب نعمة التآزر والتآخي حتى يتحقق لهم ما يصبون إليه من انتشار مبادئ السلام والعدل والحرية، تلك المبادئ التي قامت عليها حضارة العرب. حفظ الله أخي، ورعى بيته المجيد وبلاده العزيزة، وكتب له السلامة والعافية والتوفيق".

فاروق

هذا وقد وجه الملك عبدالعزيز آل سعود كلمة إلى الشعب السعودي بمناسبة هذه الزيارة والعودة إلى دياره بعد غيبة سبعة أيام، فقال[١٤]:

"شعبي العزيز، أحمد إليكم الله إذ أعود إليكم من بلاد هي بلادي وبلادكم؛ مصر العزيزة بعد أن لاقيت فيها من جلالة أخي الملك العظيم فاروق وحكومته وشعبه في كل شبر مشيت فيه من أرض الكنانة من الحفاوة والإكرام ما لا يحيط به الوصف، ولا يفي بحقه وافر الشكر، فقد كانت

(١٤) المرجع السابق، ص ٤٦٠.

قلوبهم تتكلم قبل ألسنتهم بما تكنه لي ولكم ولبلادكم من حب لا يمثله إلا ما أشعر به من حب عميق لأخي الفاروق ولبلاده، وما أستشعره في قلوبكم من حب لجلالته وبلاده.

شعبي العزيز، لقد افتتح أخي الفاروق حصن الإخاء تحت ظلال رضوى، وتوج الله ذلك الإخاء من فضله بمودة لا انفصام لها بمشيئة الله، لم تكن بين قلوبنا في بلدينا فحسب، بل كانت سبيلاً وطريقا لاجتماع كلمة العرب على ما يجمع شملهم، ويحفظ لهم عزهم وسعادتهم في كل موطن من مواطن العروبة.

ومن فضل الله علينا جميعا أن كانت كلمتنا في هذه الزيارة والتي قبلها مجتمعة على مواصلة جهودنا في سبيل تأييد جامعة الدول العربية، وبذل كل مرتخص وغال في تأييد التضامن بين سائر دول الجامعة بالقلب والروح لما فيه الخير لدول الجامعة، بل لما فيه الخير لسائر البلاد الاسلامية والعربية. وسنستمر على هذه السياسة بمشيئة الله ما حيينا، وسنورثها بنينا حتى يظل العربي يشعر في كل موطن يمر به من بلاد العرب أنه يسير في موطنه، ويعتز به اعتزازه بوطنه وبلاده.

شعبي العزيز، ليس البيان بمسعف في وصف ما لاقيت في مملكة أخي الفاروق، ولكن اعتزازي أني كنت أشعر أن جيش مصر العربي هو جيشكم، وجيشكم هو جيش مصر، وحضارة مصر هي حضارتكم، وحضارتكم هي حضارة مصر، والجيشان والحضارتان جند للعرب، وركن من أركان حضارتهم.

بهذه الروح فتح أخي الملك الفاروق العهد بيننا، وبهذه الروح استقبلني أخي الفاروق وحكومته وشعبه، وبهذه الروح أعود إليكم، وليس لي وأنتم تستقبلونني، وأنا أستقبل البيت الحرام إلا أن أدعو الله أن يحفظ للكنانة مليكها، وأن يبلغها مناها من الهناء والسعادة، وأن يجمع بفضله قلوب ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم لما فيه العز والخير، وأن يجزي الله عنا إخواننا وإخوانكم في مصر خير الجزاء، فلقد أحاطوني بقلوبهم، وغمروني بكرمهم، وما راء كمن سمعا، والسلام".

التفصيل:

نتتبع الآن تفصيلا لما كُتب عن الزيارة الملكية في بعض المراجع. وقد تناولت هذه المراجع جوانب الموضوع منذ وصول بعثة الشرف المصرية إلى ميناء جدة حتى مغادرة الملك عبدالعزيز آل سعود لمصر عن طريق ميناء بور توفيق، وذلك كما يأتي:

أولا: تحدث تقرير المفوضية البريطانية في جدة عن وصول بعثة الشرف، وبرنامج عملها حتى يوم سفر الملك، كما تحدث عن مغادرة الملك عبدالعزيز ميناء جدة في طريقه إلى مصر، وفي ذلك يقول(١٥):

١ - وصل اليخت الملكي إلى جدة صباح ٥ من يناير (١ صفر ١٣٦٥هـ) تصحبه سفينتا حراسة هما "الأمير فاروق" و"الأميرة فايزة" وعلى سطح اليخت المحروسة كانت بعثة الشرف التي تتكون من:

- مراد محسن باشا مدير الخاصة الملكية.

(15) King Abdul Aziz Diplomacy and Statecraft, op cit, P. 198.

- إسماعيل تيمور باشا كبير موظفي البلاط الملكي.
- القائم مقام أحمد حلمي بك وسالم بدان باشا أدميرال اليخوت الملكية.

وكان بصحبة بعثة الشرف كلٌّ من:

- عباس محمود العقاد عضو مجلس الشيوخ والصحفي.
- كريم ثابت بك رئيس تحرير جريدة المقطم.
- ممثل لاستوديو مصر.
- عدد من المصورين.

وبعد أن رحب محافظ جدة بالوفد على ظهر اليخت، استقبلوا في قصر الملك من قبل أصحاب السمو الملكي الأمراء محمد ومنصور وفهد وحضروا مأدبة الغداء التي حضرها جميع رؤساء البعثات الدبلوماسية هناك، وبعد الظهر غادرت بعثة الشرف إلى مكة حيث استقبلهم الملك ابن سعود الذي أقام حفلة على شرفهم.

٢ - بعد قضاء الليلة في مكة عادت البعثة إلى جدة في اليوم السادس من شهر يناير (٣ صفر)، وحضروا حفلة عشاء أقامها لهم الوزير المصري: عوض البحراوي بك الذي دعا كذلك رؤساء البعثات الدبلوماسية.

٣ - وصل الملك ابن سعود إلى جدة صباح اليوم السابع من شهر يناير (٤ صفر)، وكنت في استقبال جلالته بعد وصوله، وتمنيت له زيارة ناجحة وسارة، ووعدت جلالته باستقبال حار من الشعب المصري.

٤ - وفي إحدى الصالات الكبرى التي على رصيف الميناء كان هناك جمع كبير من كبار رجال المنطقة تجمعوا ظهر اليوم السابع من شهر يناير (٤ صفر) ليودعوا جلالته، وفي آخر القاعة كان هناك كرسي الملك المذهب يعلوه العلمان المصري والسعودي، وفي الساعة ٢ مساء وصل الملك، واستقبل استقبالا حاراً، وقام شاعر الملك أحمد الغزاوي بقراءة قصائد المديح والوداع أمام الملك بالإضافة إلى كبار الأدباء. وبعد ذلك استأذن الحاضرون من الملك لكي ينصرفوا، وبعدها صعد الملك إلى ظهر اليخت الملكي المحروسة الذي أبحر حوالي الساعة ٥ مساء بالتوقيت المحلي.

٥ - ولا أعرف حتى الآن عدد الحاشية المصاحبة للملك إلى مصر، ولكن المعروف أنها كانت حوالي ١٠٠ فرد بمن فيهم شقيق الملك الأمير عبدالله بن عبدالرحمن والأمراء محمد وخالد وفهد وحوالي ١٠ أبناء آخرين، بالإضافة إلى جميع مستشاريه بمن فيهم السيد فيلبي.

ثانيا: في اليوم السابع والعشرين من شهر يناير لسنة ١٩٤٦م (٢٤ صفر ١٣٦٥هـ) أرسلت السفارة البريطانية في القاهرة كتابا إلى وزارة الخارجية التي سبق لها أن طلبت تقريراً عن الزيارة، فشرحت في هذا الكتاب بالتفصيل خطوات البرنامج المعتمد منذ قدوم الضيف الكبير إلى ميناء الوصول مع بيان ما حدث بعد ذلك إلى نهاية المطاف في تلك الزيارة. وهذا التقرير الموسع يدل على مدى اهتمام الحكومة البريطانية بما يحدث في دائرة العلاقات بين الدول العربية بحيث لم

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٢٨هـ، السنة الثالثة والثلاثون
الدارة

تدع السفارة المذكورة شاردة ولا واردة إلا وذكرتها في كتابها، وهذا يدل على مزيد الاهتمام، إضافة إلى أنها أقامت على شرف الملك عبدالعزيز ومرافقيه مأدبة بمناسبة وجوده في مصر سوف يأتي الحديث عنها فيما بعد، أما البرنامج الذي ورد ذكره في الكتاب الذي أشرنا إليه آنفا فهو كما يأتي:

بناء على برقية السيد جرافتي ـ سميث رقم ١٠ بتاريخ ١٦ من يناير (١٣ صفر)، يسرني أن أقدم لكم التقرير التالي حول زيارة الملك ابن سعود لمصر(١٦).

١ – وصل اليخت الملكي "المحروسة" مقلا الملك ابن سعود وحاشيته إلى السويس صباح ١٠ من يناير (٧ صفر)، وقد وضعت الترتيبات على رصيف الميناء للترحيب بابن سعود، وصعد الملك فاروق الذي كان موجوداً في الميناء على ظهر اليخت الملكي لتحية الضيف، واصطحبه إلى القطار الملكي ثم إلى القاهرة، حيث كان هناك حشد كبير من كبار المصريين على رأسهم الأمير محمد علي (ولي العهد المصري)، وأعضاء الأسرة المالكة المصرية، وكلهم كانوا في استقبال القطار، وقد حرس القطار الملكي طوال الطريق من السويس إلى القاهرة سرب من طائرات السلاح الجوي الملكي، وأطلقت ٢١ طلقة عند وصول القطار الملكي إلى القاهرة تحية للضيف.

٢ – وتقدم صاحبا الجلالة إلى قصر عابدين في العربة الملكية، وتبعها شقيق الملك عبدالعزيز والـ ١٢ ابنا الذين

(16) King Abdul Aziz Diplomacy and Statecraft, op cit, Mr Grafftey Smith, No 152, Cairo. 27 th January, 1946, P. 198.

اصطحبوه، وكذلك عدد من مستشاري الملك سعود العديدين وكبار المسؤولين السعوديين، وفي الطريق كان هناك ٤ أقواس نصر أقيمت تحية للضيف، ووصل الملك ابن سعود في صحبة الملك فاروق إلى قصر الزعفران الذي وضع تحت إمرة الملك ابن سعود طوال زيارته.

٣ - وفي ليلة ١٠ من يناير (٧ صفر) قام رؤساء البعثات الدبلوماسية في القاهرة بتقديم تحياتهم إلى الملك ابن سعود في قصر الزعفران، ثم حضروا بعد ذلك حفلة أقامها الملك فاروق على شرف الملك ابن سعود في قصر عابدين، وبعد الحفلة أقيم عرض مسرحي، وتبعه حفل استقبال حضره مئات من كبار المصريين والأجانب، وقد تغيب عن هذا الحفل رؤساء وزارات مصر السابقين، لأنهم كانوا يرون أنه لابد من دعوتهم إلى الحفلة التي سبقت حفل الاستقبال. ولم تتم دعوة النحاس باشا إلى حفل الاستقبال ولا إلى أي احتفال آخر يقام بمناسبة زيارة الملك عبدالعزيز آل سعود.

وقد ارتدى الملك ابن سعود وشاح محمد علي الذي أهداه الملك فاروق له، كما أهدى الملك فاروق لأولاد ابن سعود وشاح النيل بمن فيهم من هو في سن الثالثة عشرة.

٤ - وفي اليوم التالي، أدى الملكان صلاة الجمعة في الجامع الأزهر التي أمها وألقى خطبتها مدير جامعة الأزهر[١٧]،

(١٧) لعل المقصود شيخ الجامع الأزهر.

وبعدها أقام الملك فاروق حفل غداء في قصر عابدين لضيفه الملك ابن سعود حضره مدير جامعة الأزهر، وكذلك كبار المسلمين المصريين. كما أقام رئيس وزراء مصر حفلة في وزارة الخارجية هذا المساء ترحيبا بالضيف.

٥- في ١٢ من يناير (٩ صفر)، قام الملكان بزيارة جامعة القاهرة[١٨] حيث رحب بهما النقراشي باشا الذي كان قائما بعمل وزير التربية، كما رحب بهما كذلك القائم بأعمال مدير الجامعة د. مشرفة، وقد أقيم مهرجان رياضي بهذه المناسبة، وفي المساء أقام الملك ابن سعود حفل عشاء لكبار رجال الملك فاروق ولأعضاء السلك الدبلوماسي في قصر الزعفران، وبعد الظهر كان الملك ابن سعود قد حضر عرضا للفرسان أقامه على شرفه الشيخ عبدالله لملوم، أحد كبار رؤساء القبائل المصرية.

٦ - بعد ظهر ١٣ من يناير (١٠ صفر) حضر الملك فاروق سباق الخيل الذي أقيم خصيصا على شرف الملك ابن سعود.

٧ - أقيم عرض عسكري كبير في منطقة ألماظة يوم ١٤ من يناير (١١ صفر)، وقد أطلقت المدفعية ٢١ طلقة تحية لكل من الملكين، وتم عرض الأسلحة الخاصة بالجيش المصري، وقد أصدر رئيس الأركان المصري أمراً يهنئ فيه القوات المصرية على أدائها، ويُعبِّر عن رضا الملكين

(١٨) في ذلك الوقت عام ١٩٤٦م كان اسمها جامعة فؤاد الأول، ولم يتغير اسمها إلى جامعة القاهرة إلا في سنة ١٩٥٢م.

وتهنئتهما لهم. وبعد هذا الاحتفال، دعوت الملك ابن سعود إلى احتفال في السفارة البريطانية، كما بينت في تقريري رقم ٨١ بتاريخ ١٥ من يناير (١٢ صفر)، وبعد انتهاء العرض العسكري زار الملكان ومرافقوهما الأهرام.

٨ - زار الملك ابن سعود القناطر الخيرية (قناطر محمد علي) في ١٥ من يناير (١٢ صفر) بعد أن حضر حفل استقبال في البرلمان المصري، حيث استقبله رسميا رئيس البرلمان، ورحب به في خطبته، وأشار إلى أن هذه الزيارة الملكية عامل من عوامل تقوية الاتحاد والتضامن بين الدول العربية.

٩ - في صباح ١٦ من يناير (١٣ صفر) زار الملك ابن سعود حدائق الحيوان، وإصلاحية أحداث الجيزة، وبعد ذلك حضر الملكان حفل غداء أقيم في قصر المنسترلي الذي أهداه الملك فاروق حديثاً للجامعة العربية أقامه على شرفهما الأمين العام للجامعة العربية، وفي هذه الزيارة، أعلن النقراشي باشا عن بيان مشترك من كلا الملكين.

١٠ - في اليوم التالي زار الملك ابن سعود مصانع الغزل والنسيج في المحلة الكبرى، واستقبله حافظ عفيفي باشا ومجلس الإدارة، وفي ١٨ من يناير (١٥ صفر) أمضى الملك ابن سعود يومه مع الملك فاروق في ضيعته في إنشاص.

١١ - في ١٩ من يناير (١٦ صفر) سافر الملك ابن سعود بالقطار الملكي إلى الإسكندرية، وكان في استقباله الأمير

سعيد طوسون المدير العام لبلدية الإسكندرية، كما كان في استقباله جمع غفير من كبار رجالات الإسكندرية، وكان في صحبة الملك الأمير محمد عبدالمنعم والنقراشي باشا، وزار الملك معهد الأحياء المائية، ومستشفى فؤاد الأول، وكان الملك فاروق حاضراً في حفلة غداء أقامتها بلدية الإسكندرية على شرف الملك ابن سعود، كما قام الملك ابن سعود بجولة في الميناء بعد الغداء.

١٢ - عندما عاد الملك ابن سعود إلى القاهرة في ٢١ من يناير (١٨ صفر) كان ضيفا مرة أخرى على حفلة غداء في قصر عابدين أقامها له الملك فاروق.

١٣ - غادر الملك ابن سعود وحاشيته القاهرة يوم ٢٢ من يناير (١٩ صفر)، وكان في وداعه الملك فاروق وأعضاء الأسرة المالكة المصرية وكبار رجالات الدولة، وركب الملك عبدالعزيز وحاشيته اليخت المحروسة في السويس، وهو الذي سيوصلهم إلى جدة.

١٤ - وفي فترات الاستراحة التي كانت في هذه الزيارات التي ذكرتها كان الملك ابن سعود يستقبل الزوار استقبالا خاصا، وبخاصة الوفد الفلسطيني، وأفادت التقارير أنه عبر عن دعمه الكامل للقضية العربية في فلسطين، ومعارضته الكاملة لإقامة دولة يهودية هناك، ولقد كتبت في تقريري رقم ٨٧ بتاريخ ١٧ من يناير (١٤ صفر) عن المحادثة التي تمت بيني وبين الملك ابن سعود في قصر الزعفران بناء على طلب جلالته، كما استقبل الملك ابن

سعود النحاس باشا الذي كما بينت سابقا لم يكن مدعوًّا إلى أي من حفلات الاستقبال التي أقيمت على شرف الملك.

١٥ – في الرسائل المتبادلة وفي البيان المشترك بين الملكين حول الزيارة كان الاثنان يؤكدان أهميةَ الزيارة الملكية بصفتها عاملاً من عوامل تقوية الوحدة والتضامن بين الأمة العربية، وقد أكدا في بيانهما المشترك أهميةَ القضية العربية الفلسطينية والبيانَ الذي كان موجها ضد لجنة الاستقصاء الأنجلو – أمريكية حول المشكلة الفلسطينية التي بدأت أعمالها في واشنطن.

لقد كان هذا هو النص الحرفي لرسالة السفارة البريطانية إلى بلادها. ولكن هناك بعض الملحوظات التي أوردها الكاتب تتلخص في الإشارة إلى مواقف الصحف من هذه المناسبة، والاهتمام الأمني الذي سيطر على كثير من المواقف وبخاصة في مجال المرور والأمن العام. والبذل الكبير على كل ما يمكن أن يجعل الزيارة ناجحة.

وقد جاء ضمن التعليق على الزيارة ما يأتي: "ويمكن القول: إنه من وجهة النظر المصرية أن الزيارة قد ساهمت في تقوية العلاقات بين الدولتين، حيث إن تعاونهما قد يكون له أثر حاسم على شؤون العالم العربي".

ولما كانت الزيارة ودية، والرغبة التي أدت إلى القيام بها كانت في تقوية أواصر الصداقة، ولمِّ الشمل بين ملكي وشعبي الدولتين، فلم يكن من المنتظر التوصل خلالها إلى

اتفاقات محددة. ولذا يقول باقي التعليق: "وعلى الرغم من بعض التوقعات، فليس هناك أي دليل على أن هناك اتفاقية خاصة قد تم توقيعها بين المملكتين خلال هذه الزيارة".

وهذا الأمر لا ينفي وجود نتائج كبرى نجمت عن قيام الملك عبدالعزيز آل سعود بلقاء الملك المصري فالترابط المعنوي الذي حدث كان أقوى من كل اتفاق مكتوب.

ثالثا: ورد الحديث عن مأدبة الغداء التي أقامتها السفارة البريطانية على شرف الملك عبدالعزيز في رسالة كتبها اللورد كيلرن سفير بريطانيا في مصر، وجهها إلى ارنست بيفن وزير خارجية بلاده[(١٩)]، وقد ذكرت الرسالة أسماء الذين حضروا في معية الملك وكذلك أسماء الضيوف الآخرين. وقد جاء فيها أن الضيف كان في حالة مزاجية جيدة، وأنه تحدث عن قضية فلسطين محذراً أنه ما لم تُحل هذه القضية بطريقة يقبلها العرب فإنها سوف تدمر العلاقات العربية البريطانية، وهو التحذير الذي وجهه في سنة ١٩٤٥م (١٣٦٤هـ) إلى ونستون تشرتشل عندما اجتمع معه في مدينة الفيوم المصرية.

رابعا: أصدر الملكان في نهاية الزيارة بياناً تلاه رئيس الوزراء المصري محمود فهمي النقراشي بعد حفل الغداء الذي أقيم في مبنى جامعة الدول العربية، وقد ركز البيان على قضية فلسطين مؤكداً أن العرب جميعاً يدافعون عن

(١٩) الملك عبدالعزيز آل سعود: سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية (قسم الوثائق البريطانية)، دار الدائرة للنشر والتوثيق، ص ٣٧٨.

قضية فلسطين التي لابد وأن تبقى عربية مسلمة كما كانت. وذكر أن الجامعة العربية أقيمت على قواعد متينة من التعاون والأخوة بين العرب الذين يحرصون على حماية الحقوق، وأنها تسعى إلى إقامة السلام الدائم والعدالة، وأنهم لا يريدون إلا السلام والتعاون مع العالم ولا سيما مع الأمم المتحدة.

حديث مجلة الرسالة

نسوق هنا نموذجا من النماذج التي كتبت في مصر بهذه المناسبة المهمة. وهو المقال الذي كتبه الأستاذ أحمد حسن الزيات في عدد مجلته "الرسالة" الصادر في يوم الإثنين العاشر من شهر صفر لسنة ١٣٦٥هـ (الموافق لليوم الرابع عشر من شهر يناير لسنة ١٩٤٦م) بعنوان "عاهل الجزيرة العظيم" ضَمَّنه الترحيب بمقدم العاهل، ووصفه بأوصاف كريمة تليق به، ولا بأس من نقل هذا المقال كاملا هنا:

"من بوادي نجد منبت العَرار والخُزامَى، ومهبّ الصَّبا ومسرى النعامَى فاحت عطور الإسلام والعروبة من جديد، وباحت الرمال الصامتة بسرها المكنون منذ بعيد؛ وهبت نفحات الرسول على آل الشيخ وآل سعود، فجددوا ما رثّ من حبل الدين، وجمعوا ما شتّ من شمل العرب؛ وتهيأت الفرصة مرة أخرى لشريعة الله لتُريَ الناس كيف بسطت ظلال السلام والوئام والأمن على أشد بقاع الأرض ضلالة وجهالة وفتنة؛ وتجلت في طويل العمر عبدالعزيز فضائل العرب الأصيلة: فمثل شاعريتها في رهافة حسه، وأريحيتها

في سماحة نفسه، وحميتها في صرامة بأسه؛ فهو في دينه النقي الخالص، وفي خلقه السريّ الصريح، دليل ناهض على أن الجزيرة العربية لم تُعقم بعدُ أنصار الدعوة وأبطال الفتوح. ولا يضيرها أن تتباعد فترات الإنجاب ما دامت تنجب في القرن الأول ابن الخطاب، وفي القرن الأخير ابن السعود!

والملك عبدالعزيز كالخليفة عمر من القادة المصطفين الذين صنعهم الله على عينه، وأمدهم بسلطانه وعونه، ليؤيدوا رسالة أو يجددوا دعوة أو يوحدوا أمة. وقد اصطفاه الله من آل سعود ليكشف على يديه ما ادخر في هذه الأرض المقدسة المجهولة من ثراء وقوة، وليعود العرب بنعمة الله عليهم وعليه أمة واحدة ذات عزة وسطوة. والعرب والمسلمون على اختلاف المذاهب، وتباين الأجناس، وتنائي الديار، يولون وجوههم كل يوم خمس مرات شطر المملكة السعودية، لأنها صلتهم بالسماء، ورابطتهم في الأرض، ومنارتهم في الحياة!

وابن السعود هو ملك الوطن المشترك، وإمام القبلة الجامعة؛ لذلك أوتي محاب القلوب وطواعية النفوس، فله في صدر كل عربي مكانة، وفي عنق كل مسلم ذمة!

ولقد كان استقباله في مصر يوم الخميس الماضي تعبيراً شعبياً قوياً عن هذه المعاني التي تجول في كل خاطر وتتمثل في كل ذهن: كان استقبالا رائعاً لم تشهد الكنانة مثله لزعيم أو فاتح؛ لأن العواطف التي حشدت هذه الألوف المؤلفة في طريق الموكب الملكي على أطورة الشوارع وطنوف العمائر، وفي أفواه الأزقة ونوافذ البيوت، كانت شيئا آخر غير

الفضول الذي يسوق الناس في مثل هذا اليوم؛ ليشهدوا ضخامة الحشد وفخامة الجند وروعة السلطان: إنما كان استقبالا روحيا طبيعياً فيه الحب والإعجاب، وفيه التجلّة والقداسة، وفيه معنى أسمى من كل أولئك هو شعور كل مصري بأنه يستقبل فرعاً من أصله، وعزيزاً من أهله.

فعلى الرحب والسعة يا مجدد التوحيد والوحدة، ومقيم ملكه الأشم على الحميّة والنجدة! وعلى الرحب والسعة يا حامي الحرمين، وثمال القريتين، وباعث الجزيرة الهامدة إلى عصر جديد سعيد يقوم فيه أمر الله على سيف علي ومصحف عثمان ودرة عمر وعزيمة الصديق!".

حول القصيدة

ألمحنا فيما سبق إلى قصيدة الترحيب التي جادت بها قريحة الشاعر محمود حسن إسماعيل بالمناسبة التي ابتهجت بها مصر، وهي زيارة الملك عبدالعزيز آل سعود لها.

جاءت القصيدة في ستين بيتا تحت عنوان "عاهل الجزيرة في وادي النيل"، وقد بدأها الشاعر بقوله:

حادٍ من البيد هزّتني قوافلُه والنيلُ يصغي إليه أو يُساجلُه

وهو في الأبيات الأولى منها يناجي هذا الحادي الذي تخيله قادما يردد غناءه الشجي حتى:

أصغت له مصر، فاهتاجت سرائرها وللديار هوى تهفو شواغلُهُ

وهو كذلك:

معلّم كيف يشجي الريح، كيف لها تعيد تسبيح (داود) فواصله
وكيف تخطف سحر الشمس نغمته فينتهي كل ما قصَّتهُ (بابله)

وهكذا تستثير شاعرية شاعرنا صورة البيداء العربية بكبريائها وصمتها العجيب. وصوت حداة القافلة الدائبة الحركة على أرضها، وهي تكسر حدة هذا الصمت، وتبعث في النفوس صدى الغناء الحجازي القديم الذي قرأ عنه الشاعر، فوظف قراءاته في بداية قصيدته، مشيراً إلى أنه اهتز لصوت الحداء الجميل الذي كان النيل يصغي إليه أو يساجله في تلميح إلى توجه الزيارة الملكية السعودية إلى الديار المصرية.

أما الجزيرة فلها نصيب من هذه القصيدة، فهي مهبط الوحي، ومقر البعثة النبوية، وأرض الحرمين؛ ولذا فقد أجاب الحادي نداء الشاعر ورد على تساؤله قائلا:

فقال: إني من الشرق الذي سطعت ونوَّرت منه للدنيا رسائلهُ
من بقعة عُمُدُ الإسلام في يدها سواعدُ الدهر يُعْيِيها تطاوُلهُ
مَشَى الرسول عليها فاغتدت حرماً يجرد النفس للتسبيح داخلُهُ

إلى أن يأتي على ذكر قائد الركب الملك الذي أعلى المهابةَ سيفُه الذي يحمله، وهو الذي صار عرش الجزيرة مركوزًا بقبضته، وقد أجرى العاهل فوق حديه البأس الذي ألان له الأمور، ووطد له أركان المُلّك، وها هو الركب وقد وصل إلى أرض الكنانة حيث:

تلألأت منه فوق النيل زاخرة رُؤى جبين أضاءته فضائله
نور الشهادة تُبديه أسرّته وهالة المجد تُضفيها حمائله

ومن هنا بدأ الشاعر في الحديث عن الملك الذي جاء إلى بلاد الشاعر أخا قبل أن يكون ضيفا، فهلل النيل لمقدمه.

ووصف محمود حسن إسماعيل الموكب الملكي رابطاً بين بلاد صاحب الموكب وأرض الكنانة، فهما مُلْكان ضياؤهما يزين مفرق الدنيا، قد قاما على عزة شامخة للشرق، ومورد للعلا تفيض مناهله، هذان الصرحان كانا شعاعين لأيام تستنير بهما مسيرة الأمة بأجمعها في الوقت الذي كانت تغط على ليل وفي نوم عميق أركان الدنيا بمجاهلها. وكانا كما وصفهما الشاعر بقوله:

هذا على جبهة الصحراء صولته يُفني الجبال إذا هبَّت تُصَاوِلُهُ
عال مع الشمس، طواف بسيرتها على الوجود نَدَاهُ أو جحافلُهُ
وذاك تسحر كبْر الخلد هيبته بما بنى لبني الدنيا أوائلُهُ

وأخيرًا فإنه يرى الشرق عليلا في حاجة ماسة إلى الدواء، والأمل عنده معقود على هذين السائرين على النور، وخلفها قلب الشرق المضنى، فلو مسحا عليه بأكفهما الساحرة لقرب شفاؤه:

يا سائران على نور، وخلفهما قلب من الشرق تُضنّيه مشاغلهُ
مُرَّا عليه بسحر في أكفكما داني التداوي، قريب البرء، عاجله
براحة في حواشيها وصفحتها طبُّ الشعوب حَفي النور مائله

وهذا الذي يريده الشاعر ليس صعبا على هذين العاهلين فإن ما حدث في زيارة الملك فاروق لرضوى والنتائج الباهرة التي تمخضت عنها هذه الزيارة، فأفرحت، وسرَّت الشعبين الشقيقين سروراً كبيراً، وصارت بداية تعاون في مجالات شتى بينهما يؤكد أن ما رامه الشاعر لا يدخل في إطار المستحيلات، فهذه الراحة التي في حواشيها طب القلوب هي التي ما زال (رضوى) يناجيها ويذكرها، فقد كانت ثمرة ذلك اللقاء عهداً إلى أبد الدنيا ترويه للشرق تلك الكثبان المهلَة، وتسطرها الجنادل مواثيق عظيمة، لقد كانت لقاءات ذلك المكان عهداً من الحب هز الجبل العتيد، فارتجزت به الخيام، وغنته القبائل، مشيراً إلى الاحتفالات الشعبية التي تمت على تلك الأرض يومذاك.

ما زال "رضوى" يناجيها ويذكرها ... عهداً إلى أبد الدنيا يزامله
روته للشرق كثبان مهللة ... وسطرته مواثيقا جنادلُه
عهداً من الحب هز الطود فارتجزت ... به الخيام، وغَنَّته قبائلُه

ويتجه الشاعر بعد ذلك إلى مخاطبة الملك عبدالعزيز آل سعود قائلا:

ليثَ البوادي وحاميها وسيدها ... تاريخ سيفك إنشاد تُواصلُهُ
ضممتها وعصبت البأس في يدها ... وكنت غيثا تُغاديها سوابلُهُ

ومن هنا اتجه إلى الحديث عن بدء الرحلة، حيث تعلقت تلك البوادي بحاميها وسيدها، وحين صار البحر الذي هو طريق الزيارة بساطا كأنه الفلا حين تغني قوافله.

ويقول: لقد جئت أيها الليث، يا ملك القلوب تحفّك الأرواحُ وتهفو إليك بلابل مصر إلى حيث كان أحبابك يرتقبون هذه الزيارة، وقد جمع الشاعر هؤلاء الأحباب في شطر بيت هو: "فاروق، والنيل، والوادي، وآهله" فكل هؤلاء في الاستقبال وفي غاية السعادة لهذه الطلّة الملكية التي طال انتظار إشراقها على وادي النيل، أما السفينة التي أقلت الضيف الكبير فقد وصفها الشاعر بأنها بيضاء دارعة بالأرواح تهفو لها بلابل الجنان في مصر، وتفيض بالتغريد ابتهاجا بقدومها.

وفي مناجاته للعاهل السعودي يقول الشاعر:

"عبدالعزيز" إليك الحب، يدفعه وإذ ترفرف بالبشرى خمائله
حيتك منه سماء شاركته هوى بالغيث يفْترُّ في الشطآن وابله

وإذ نحييك اليوم في أرض مصر، فقد حيتك من قبلنا البيد التي أحييتها وأفرحتها بأعمالك الجليلة وبحملك البشرى إليها بمستقبل زاهر يسعد به أبناؤها. وهنا يعود الشاعر إلى الموكب الذي ضم الملكين في مصر، حيث اختلط الأمر على الناس وحار العباد: أنجدي هواؤهم؟ وقد بعث كل هذه المشاعر، أم أن الفرحة إنما هي الفرحة بالإسلام الذي حف الموكب؟

حار العباد أنجدي هواؤهم والقطر والريح أنسام تزايلُه
أم أنها فرحة الإسلام سار بها ركب المليكين في شوق يُعاجلُهُ
عبير يثرب تذكيه مطارفه وخيله العُرّب تحكيها صواهلُه

أما في الختام فيقول:

هذا أذان العلا يا شرق، فاتحة يُراع منها غوي القلب غافلُه
ضيف الجزيرة، لا وصفا ولا حلما جنانُ مصر جَنانٌ أنت نازلُهُ
أخوك "فاروق" راعيها وعاهلها وأنت فيها أخ طابت منازله

لقد كان الختام قوياً ومؤثرا، ودالا على الشعور الصادق الذي ملأ الشاعر، فجعله يقول ما قال ليس في هذه الأبيات الثلاث، وإنما في كامل القصيدة التي جاءت لوحة معبرة، ومفصلة لكل إحساسات الناس تجاه هذه الزيارة. وعندما قال محمود حسن إسماعيل: إن جنان مصر بكاملها هي قلب أنت نازله فهو يعبر عن حقيقة أثبتتها وقائع الزيارة والاستقبالات الكثيرة والاحتفالات المدهشة بحيث كان الملك عبدالعزيز وسط مجموعة يعرف أنها تحبه وتقدره وترى أنَّ ما عمله في بلاده وفي خارجها يجعله في عداد الرجال الذين يسجل التاريخ لهم أعمالهم بمداد من نور.

كان الختام قوياً ومؤثرا، ودالا على الشعور الصادق الذي ملأ الشاعر، فجعله يقول ما قال

هذا وفي القصيدة ملامح فنية جميلة، وإشارات لا بأس من أن نقف عليها دون أن يكون ذلك شاملا لها بأجمعها. فهو يقول مثلا كيف للريح أن تعيد تسبيح "داود" الذي شبه به حداء الحادي الجميل ونغماته الحلوة، فأشار هنا إلى مزامير سيدنا داود عليه السلام، ثم ذكر أن نغمة هذا الحادي تخطف سحر الشرق، فتقضي على سحر بابل التي أخبر

القرآن الكريم عنها بقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾(٢٠)، وجعل الوديان تخر ساجدة وهي تستمع إلى الأذان الصادر من الصحاري، بينما هذا الأذان ما هو إلا الذي يطلقه ذلك الحادي، فيهتز له السامعون، وعندما تحدث الشاعر عن جنان مصر قابلها بلفظ مشابه هو جَنان - بفتح الجيم - فجاءت المقابلة اللفظية مفيدة في المعنى المطلوب، ولافتة لنظر المستمع إلى القصيدة، فكأنه يقول لضيف مصر: إن هذه الجنان الطيبة ما هي إلا قلب تسكنه أنت لفرط محبتنا لك، وهو ما سبقت لنا الإشارة إليه، ويلحظ أنه بدأ صدر البيت الذي فيه الحديث عن الجنان بتأكيد على أن ما يقوله هنا ليس وصفا عابراً ولا حلما من الأحلام، ولكنه الإحساس الحقيقي بما حدث.

ختام

يُعبِّر كل ما ورد آنفا عن صورة للحياة العربية في سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ) من حيث علاقات رؤسائها بعضهم ببعض، وحرصهم على تطوير هذه العلاقات والسعي بها إلى الأفضل، كما يعبر عن تقدير الشعب العربي في كل مكان وبخاصة في مصر لجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود بوصفه موحد الجزيرة، وحامي الحرمين، والحريص على تضامن الأمة العربية والإسلامية، ولا شك في أن مواقفه التي عبر عنها خلال زيارته إلى مصر فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية كان لها أكبر الأثر في نفوس الناس الذين كانوا

(٢٠) سورة البقرة الآية رقم ١٠٢.

يتطلعون إلى من يتبنى هذه القضية الخطيرة التي وجدت الأمة نفسها بسببها في مأزق خطير بعد أن تمالأ الأمريكيون والبريطانيون مع الصهاينة، وكان تقرير اللجنة التي شكلوها محققا لآمال العدو ومخيباً لآمال العرب والمسلمين.

ويتضح من مجريات الأحداث على ضيق المساحة التي تناولناها في هذا البحث مدى الجهد الذي بذله العاهل السعودي سواء أكان ذلك خلال لقائه بالرئيس الأمريكي روزفلت في سنة ١٩٤٥م، أم خلال مراسلاته مع الرئيس اللاحق هاري ترومان، وكان أهم ما أُثير في الاجتماع والمراسلات موضوع فلسطين الذي كان الشغل الشاغل للملك.

بعد هذا نعود إلى ما سبق أن أشرنا إليه في المقدمة عن الدافع إلى تقديم هذا البحث لقرائه، وهو قصيدة الشاعر محمود حسن إسماعيل، وقد أوردنا عنها ما يمكن أن يقال في حدود العرض الذي قدمناه، ثم قدمنا القصيدة بكاملها في ملحق خاص. وحيث إن للقصيدة مداراً هو زيارة الملك عبدالعزيز لمصر فإن حديثنا لم يكن ليخرج عن هذه الحادثة إلا فيما يتعلق بمقدماتها أو بنتائجها، وليعذرنا القارئ إن لم يجد منا إفاضة في موضوعات جانبية أخرى، قد يكون لها مجال آخر في مكان غير هذا المكان، وبخاصة وأن سيرة الملك عبدالعزيز العطرة قد عُرضت في عشرات المؤلفات، وفي كثير من الدوريات، ومع ذلك فإن البحث فيها دائما يؤدي إلى جديد وبخاصة حين نقارن الأوضاع التي كانت

سائدة في عصره من حيث تعاون العرب رؤساء وشعوبا مع الأوضاع السائدة الآن، فنجد أن الصورة المشعة التي اطلعنا عليها من خلال حدث واحد ذكرناه في بحثنا هذا صورة مطلوب تكرارها حتى تعود الأمور في دنيا العرب إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم وحتى يتمكنوا من مواجهة عدوهم الذي لا ينبغي أن يواجهوا غيره.

ملحق البحث:

قصيدة "عاهل الجزيرة في وادي النيل"(٢١)

حـادٍ من البـيـد هزتني قـوافله ... والنيلُ يصغي إليه أو يساجله
يلقي الغناء حجازياً فتحْسبهُ ... تهـجُّد الفـجـر أوَّابٌ يواصلهُ
أصّغت له مصر، فاهتاجت سرائرُها ... وللديار هوى تهفُـو شـواغله!
معلَّم كيف يُشجي الريح! كيف لها ... تعيدُ تسبيح "داود" فـواصلهُ!
وكيف تخطفُ سحر الشمس نغمته ... فينتهي كل ما قصته "بابلهُ"
وكيف بالجبل الراسي مزامرُه ... تشجيه حتى يريد الخطو كاهله
خـرت لموكبه الوديان ساجدة ... إن الصحاري أذان، وهو قائله!
وللجـزيرة وحيٌ في قَـيـاثره ... كـادت تضيءُ به الدنيا أنامله
مهد النبوات أرض النور موطنه ... وفي مزار الهدى قامت منازله
سار يهاب الضحى أنوار خطوته ... ويعلمُ الفجر أن الركبَ حاملهُ
وتسمح الطير عنه، وهي شاردة ... فـإن دنا سِـرْبُهـا قـرَّت بلابله
حَبٌّ، وماءٌ، وأعشاش، وأمنُ حمى ... فيه الغريب أخٌ والضيف آهلهُ
سألته: لمن الركبان سائرة؟ ... وللكريم اهتزاز إذ تسائله!
فقال: إني من الشرق الذي سطعت ... ونورت منه للدنيا رسـائله
من بقعة عُمدُ الإسلام في يدها ... سواعد الدهر يعييها تطاوله!
مشى الرسول عليها فاغتدت حرماً ... يجرد النفس للتسبيح داخله
وشع منها كتاب الله، فهي حمى ... لا بد يسجد قبل الخطو نازله

(٢١) مجلة الرسالة العدد ٦٥٥، السنة الرابعة عشرة.

بنى عليها، وشاد الملك معتلياً ... على المهابة، سيف عز حامله
عرش (الجزيرة) مركوز بقبضته ... وفوق حدَّيه أجرى البأس عاهله!
تلألأت منه فوق النيل زاخرة ... رُؤى جبين أضاءَته فضائلُهُ
نورُ الشهادة تُبديه أسرَّتُهُ ... وهالةُ المجد تُضفيها حمائله
وحوله من سماء البيد شارقةٌ ... من البداوة تذكيها شمائله
عطر النبوات نضَّاح على يده ... كأنَّ خلداً زكَتْ فيه خمائله
وفوق عينيه للتوحيد بارقة ... شعَّتْ ضياء بما تطوي دخائله:
شهادتان هما للرُّوح مرِّفأة ... فيها منارُ الهدى، فيها مشاعله!
البيرقُ الأخضر الرفراف ضمهما ... هدْياً، ونوراً، لمن زاغت دلائله!
"الله أكبر" في الشَّطين هاتفة ... كطير مكة إذ هاجتْ زَوَاجلهُ
رأيته وضفاف النيل تحمله ... والنيل يهتزُّ للأبطال ساحله
في موكب تُفرح الإسلام عزَّته ... وتلفتُ الشرق للماضي مخايله!
وتدهش الدهر إرهاباً بضجَّتها ... ما خلَّفته على الوادي جلاجلهُ
ملكان في مفرق الدنيا ضياؤهما ... عالي الركاب، رحيب الخطو، جائله
قاما على عزة للشرق شامخة ... ومورد للعُلا فاضت مناهله
كانا شعاعين للأيام في زمن ... كانت تغطُّ على ليل مجاهله
هذا على جبهة الصحراء صولجه ... يفني الجبال إذا هبَّت تصاوله
عال مع الشمس، طواف بسيرتها ... على الوجود نَداه أو جحافله!
وذاك تسحرُ كبرُ الخلد هيبته ... بما بنى لبَني الدنيا أوائله
على مَحارب من نهر ومن شجر ... أسحاره قانتاتٌ أو أصائله
كم كبَّرت لأذان الفجر نخلته! ... وسبَّحت بهوى الباري سنابله!
يا سائران على نور، وخلفهما ... قلب من الشرق تضنيه مشاغلُه

مُـرَّا عليـه بسـحـر في أكُفِّكُمـا دانـي التَّداوي، قريب البُرء، عاجلهُ
براحة في حواشيها وصفحتها طبُّ الشعوب حَفيّ النور مائله
ما زال "رضْوَى" يناجيها ويذكرُها عـهـداً إلى أبد الدنيـا يزامله
روته للشـرق كـثـبـان مـهللة وسطرته مـواثيـقـاً جنادله
عهداً من الحب هز الطود فارتجزت به الخـيـام، وغنتـه قـبـائله!
ليث البوادي وحاميها وسيدها تاريخ سـيـفك إنشـاد تواصله
ضممتها وعصبت البأس في يدها وكنت غيـثـاً تغـاديهـا سـوابله
تعلقت بك حين الركب قـال: هلا وأوشكت بخطى النجوى تناقله
وحين يممت كاد البحـر لجتـه تغدو بساط فلاً، غنت قوافله!
ركـبت بيـضـاء بالأرواح دارعـة جنان مـصـر لهـا تهـفـو بلابله
أحبابك ارتقبوها منذ ما سبحت "فـاروق" والنيل والوادي وآهله
جـرى النسيم سـعـودياً بجنتـه وللرياض هفت شـوقـاً هوادله
"عبد العزيز" إليك الحب، يدفعه وإذ ترفـرف بالبـشـرى خـمـائله
حيتك منه سماء شاركته هوى بالغيث يفتر في الشطآن وابله
تحيـة البيـد ساق الله فرحتها على يديك بشـيـراً أنت حـامله
حـار العـبـاد أنجـديٌّ هـواؤهم والقطر والريح أنسـام تزايله
أم أنها فرحة الإسـلام سار بها ركب المليكين في شـوق يعـاجله؟!
عـبـيـر يثـرب تذكيـه مطارفـه وخيله العُرب تحكيها صواهله
هذا أذان العلا يا شـرق! فاتحة يُراع منها غـويّ القلب غـافله!
ضيف الجزيرة، لا وصفاً ولا حلماً جـنان مـصـر جَنان أنت نـازله!
أخوك "فـاروق" راعيها وعـاهلها وأنت فـيـهـا أخ طابت منازله!